

((الجزء الأول))

الفصل الأول

١ - سجادة الحرير الأحمر

سجاد الحرير الأحمر:

تختار حريره بدقة وعناية..

وتغلي جيدًا لحل خيوطها

ثم تصبغ الخيوط بعد الغلي والتبييض..

بحوذان الزهارين

فتبدو أكثر حمرة من حمرة الحوذان..

وتحاك منها سجادة الرقص

في قاعة بيه شنج..

بالقصر الإمبراطوري

ضلع القاعة مائة ذراع..

تكسوها سجادة حمراء واحدة

خيوطها الملونة غزيرة وناعمة..

وتفوح منها رائحة طيبة

وتصميماتها الزخرفية رائعة..

وتنوء بالأحمال فوقها وإن خف وزنها

إذا رقصت فوقها فاتنة حسناء..

غاص في نسيجها جواربها الحريرية وحذاؤها المزركش

سجاد تاي يوان¹ من الصوف الخشن..

وسجاد تشنج دو² من القطن الرقيق البارد

كلاهما يفتقر إلى دفء ونعومة السجادة الحمراء..

التي تصنع في شوان تشو، وتنقل إلى العاصمة تشانغآن.

في شهر أكتوبر من كل عام..

يحرص حاكم شوان تشو³ أن تكون السجادة الحمراء دقيقة

الصنع وجديدة الطراز

ويزعم أنه نائب الإمبراطور..

ويتفانى في خدمته

¹عاصمة مقاطعة شانشي في شرق الصين.

²عاصمة مقاطعة سيتشوان في جنوب غرب الصين.

³مدينة في مقاطعة أنهوي في شرق الصين

السجادة الحمراء يحملها مائة خادم إلى قصر الإمبراطور..

لا تطوى ولا تلف

لأن خيوطها سميكّة وحريرها غزير..

أيها الحاكم: هل تعرف أم لا؟

أن كل عشرة أذرع⁴ في السجادة الحمراء..

تحتاج إلى ألف لانج⁵ من خيوط الحرير!

وأن الأرض لا تشعر بالبرد..

بل الإنسان هو الذي يحتاج إلى الدفء

فلا تسلب ملابسهم..

وتجعلها أغطية للأرض!

⁴ عشرة أذرع صينية تساوي ثلاثة أمتار وثلاث المتر

⁵ لانج يساوي خمسين جرامًا.

٢- وصيفة القصر الإمبراطوري

كانت وصيفة القصر الإمبراطوري..

فتاة في عز العمر

ثم زحف الشيب على رأسها شيئًا فشيئًا..

يرتدي حراس القصر ملابس خضراء

يوصدون الأبواب التي تقبع خلفها..

وصيفة القصر منذ عدة سنوات

عندما اختيرت والتحقت بالقصر كان عمرها ستة عشر عامًا..

والآن تربو من الستين عامًا.

أكثر من مائة وصيفة التحقن بالقصر معها..

جميعهن غادرن القصر مع تقادم الزمن

ولم يبق هناك سواها..

تتذكر وداع ذويها الحزين لها

قالوا لها: إنها تظفر بحب الإمبراطور..

لأن وجهها مثل اللوتس، وصدرها مرمر

لكن الإمبراطور لم يرها..
رمقتها المحظية بطرف عينها
وأوغر صدرها جمالها الخلاق...
أمرت بإقصائها بعيدًا عن الإمبراطور
وعاشت وحيدة في حجرة خاوية..
تعاني أرق الليالي الطويلة
والياس من بزوغ فجر جديد..
يتراقص نور المصباح على الجدران
ورذاذ المطر يتساقط على النافذة.
تشعر أن نهار الربيع يمضي بخطوات وثيدة..
كأن الليل لا يرخي سدوله
لا تطرب أذنيها لسماع تغريد الصفارية⁶ في القصر..
ولا يوغر صدرها غبطة حياة زوجي السنونو⁷

⁶ الصفارية: طائر أصفر الريش

⁷ السنونو: طائر طويل الجناحين مشقوق الذيل.

بلا ضجيج يغدو السنونو والصفارية ويروحون..
حسب قوانين الطبيعة، يأتي الربيع ويذهب الخريف
ووصيفة القصر لا تعرف..
كم سنة مكثت بالقصر
لا تمتلك في جعبتها سوى أن تحقق في القمر المكتمل..
لتحسب كم سنة قضتها داخل القصر
لقد أصبحت الأكبر سنًا في القصر..
ومنحها الإمبراطور لقبًا رسميًا) .
ملابسها ضيقة، وحذاؤها قديم
ومساحيق تجميلها، لا تساير كلها الموضة
ويسخر منها الناس خارج القصر..
لأنها تنتمي إلى موضة عشر سنوات خلت
وصائف القصر هن الأكثر..
شعورًا بالوحدة والعزلة

في سن الشباب والكهولة..
لا يسمح لهن بمغادرة القصر
فأين الإنسانية؟
لم تقرأ مقامة "المرأة الحسناء"!
ولا تقرأ اليوم "وصيفة القصر"
ذات الشعر الأبيض!.

٣- مشاعر حب

في صحن الدار..

أجفف ملابسي وحاجاتي

فجأة رأيت حذاء أحضرته من مسقط رأسي..

من أهدى إليّ ذلك الحذاء

جارتني، الفتاة الممشوقة رائعة الجمال..

التي صنّعه بيديها، وأهدته إليّ قائلة:

الحذاء رمز لارتباطنا إلى أبد الآبدين..

أمل دائماً وأبداً أن نكون مثل فردتي حذاء

نعيش معاً ونموت معاً..

صدرت الأوامر أن أكون مسئولاً في ولاية جيانغ

قطعت مسافة ألف وخمسمائة كيلومتر ووصلت هناك..

حملت معي الحذاء تقديراً وثناء لمشاعر حبيبتي

اليوم، أشعر بجرح عميق في قلبي..

أنظر بإمعان إلى الحذاء مراراً وتكراراً

كيف لا يستطيع الإنسان..
أن يكون مثل الحذاء؟
يعيش أزواجًا أزواجًا...
مثنى، مثنى، ولا يفترقان
الحذاء مصنوع من القماش المقصب..
ومزخرف بأزهار مطرزة
مرت الأيام والسنون..
وتعرض للأمطار الموسمية
فشحب لونه وبهت..
وذبلت أزهاره وماتت
واأسفاه.. واأسفاه..
على حذاء حبيبتي!

٤- إلى زوجتي

آه، وا حسرتاه!

جري دولاب الزمن سريعًا وغزا الشيب مفرقي

تحوم الفراشات جيئةً وذهابًا..

وتشاطرني همومي وأحزاني

زوجتي ترقع ملابس الشتاء..

في ضوء المصباح الخافت

وابنتي الصغيرة، فلذة كبدي..

تلهو بمفردها فوق السرير

الأثاث في بيتي: موحش ومقفر

لون البارافان قاتم ومعتم

ستارة سرير النوم بالية..

الوسائد متهاكة، وحصيرة السرير ممزقة

تتفاوت درجات الفقر بين الفقراء..

أنا ما زلت بمنأى عن مستنقع التسول والاستجداء